فعروبة فلسطين ازلية تاريخا وثقافة ومصيرا ، الا أن كون الدول العربية آنذاك جزءا مشلولا من اجزاء العالم التابع للمعسكر الامبريالي ترك الوطنيين الفلسطينيين يجابهون الضغط الصهيوني وحدهم · وقد ظل عرب فلسطين خلال عهد الانتداب كله يعلنون موقفهم من البلاد العربية وهو ان نضالهم ضد انشاء وطن قومي يهودي ليس مجرد نضال محلي ، وانما هو موقف عام ضد الصهيونية التي تهدد العالم العربي ككل، «وادرك العرب ببطء معنى هذا التهديد، خصوصا في نهاية الحرب الثانية»(١)·

يضاف الى ذلك ظروف البلاد الاجتماعية آنذاك ، التي لا تختلف كثيرا عن ظروف المجتمعات العربية الاخرى الخاضعة للحكم العثماني ، تتغلب منها المشاعر الموروثة القديمة من دينية ومحلية وقبلية ومصالح خاصة · وانحصرت الافكار السياسية والسيطرة الادارية لدى الاوساط الثرية المثقفة من وجهاء وتجار وضباط واقطاعيين ، لان مجالات التعليم في العهد العثماني كانت محدودة ومن نصيب تلك الطبقة · وظلت حركتها الى حد بعيد ، بحكم المصلحة والظروف ، حركة سياسة دون ان يكون لها محتوى اجتماعي واقتصادي · وخلال الانتداب ظلت هذه الطبقة الاجتماعية هي المسيطرة سياسيا ولكنها لم تكن منعزلة عن المجتمع بل شاركت في الحياة السياسية وسيطرت على المؤتمرات واللجان · واتفقت هذه القيادة على ضرورة احلال الاستقلال محل السيطرة الاجنبية والقضاء على الوطن القوميالييهودي الا انها حتى عام ١٩٢٩ لم تقم بأي محاولة لمعارضة الانتداب بالقوة ، ما ارادته هو التوصل الى تفاهم مع الانتداب بشرط ان يغير موقفه من الوطن القومي ·

والفشل المتواصل رفع من مكانة الفئة التي تضع في حسابها الثورة وسيلة لتحقيق الاهداف ، فحولت الحركة من حركة بطيئة سلمية الى حركة ثورية · صحيح ان الاسلوب الثوري لم يكن جديدا كل الجدة ، ولكن سياسة بريطانية اسرعت في تقدم الحركة وتحويلها الى عنف · لقد كان لعرب فلسطين فرصة لتحقيق اهدافهم بواسطة العنف في العشرينات عندما كانت الصهيونية في البلاد ضعيفة ، وهي فرصة افضل بكثير مما كانت لهم عندما حاولوا ذلك في الثلاثينات ·

رغم كل هذه المعوقات فلقد اظهر الشعب منذ البداية صلابة وجرأة واستعدادا للتضحية وتمسكا بالارض لا مثيل له ، وتؤكد الوقائع التاريخية ان هذا الشعب قد ناضل نضالا متواصلا مريرا لمقاومة اخطار الصهيونية والاستعمار ، واتخذ هذا النضال اشكالا عديدة وتبنى مختلف الاساليب الكفاحية من الاحتجاج الى المقاطعة فالاضراب فالعصيان المدني فالثورة المسلحة ·· « وكي تعيش هذه القضية لا بد من الاطلاع على تاريخها ومتابعة مراحلها ومواكبة خط تطورها ··· فاستلهام الماضي اذا ما تم على صورته الصحيحة ، يشكل حافزا من حوافز النضال··· من الضروري ان نبني اندفاعنا النضالي المعاصر على اساس الوعي الصحيح والحقائق الثابتة اذا ما اردنا لمسيرتنا الحالية ان تكون انطلاقة تاريخية لا مجرد هبة عابر ة » (٢) ·

وتتحدد قيمة ما يكتب من تاريخ القضية بناء على الاعتماد على المصادر الاولية ولا شك ان مذكرات واوراق كبار السياسيين الفلسطينيين الذين لعبوا دورا كبيرا في القضية تشكل مادة اساسية للاستفادة منها · وظاهرة المذكرات في تاريخ فلسطين ضعيفة ، والسبب يرجع الى ان الحياة السياسية لم تكن مستقرة ، فتردد الزعماء السياسيين في كتابة مذكراتهم لوجود عامل الخوف والاضطهاد · وهناك عامل آخر

---

١ ـ مجيد خدوري ، **الاتجاهات السياسية في العالم العربي** ، (مترجم) بيروت ١٩٧٣، ص٢١٦

٢ ـ عبد الوهاب كيالي ، **تاريخ فلسطين الحديث** ، بيروت ١٩٧٠ ، طبعة اولى ، المقدمة ص٧